

ہالات میں نور

الناشر : المكتب المصرى الحديث
٢ شارع شريف عمارة اللواء بالقاهرة تليفون ٢٥٤١٢٧
٧ شارع نوبار الاسكندرية تليفون ٢٦٦٠٢

عبد حميد كشكس

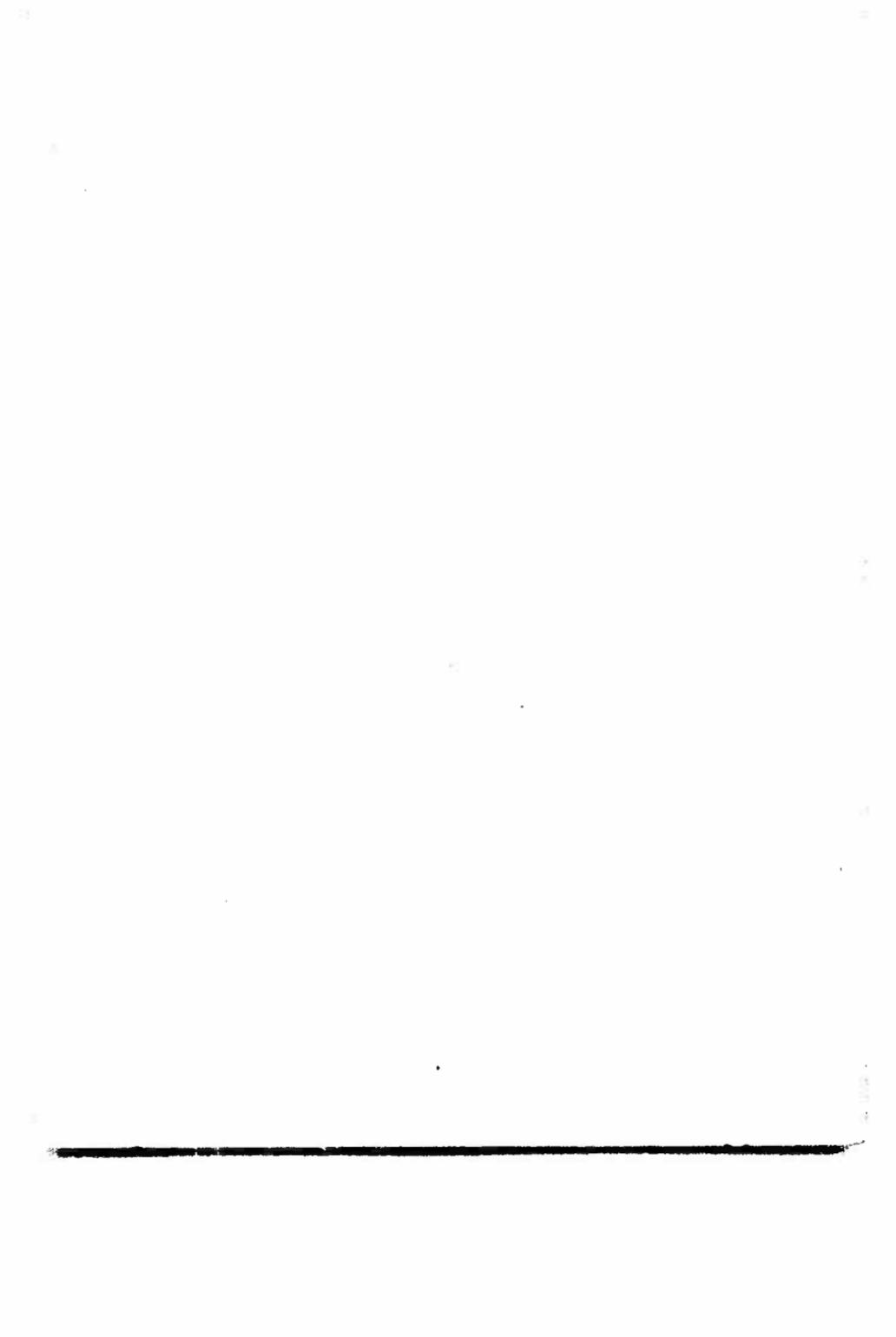
هَالَاتٌ مِنْ نُورٍ

((آمن شرح الله صدره الاسلام))

فهو على نور من ربه))

(صدق الله العظيم)

الكتب العربي الحديث



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وأصلى وأسلم صلاة وتسليماً يليقان بمقام أمير الأنبياء وإمام المرسلين . وأشهد أن لا إله إلا الله ولى الصالحين وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبينا محمداً رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين .
أما بعد ..

فهذا كتاب سميته حالات من نور والنور هنا هو الذى عاناه الله فى قوله « الله نور السموات والأرض » فهو نور الهدى والإرشاد . . يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم » ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السماوات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور .
« أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » الحمد لله الذى خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور . « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » . « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويفزر لكم والله غفور رحيم » .

فاللهم اجعل من فوقنا نوراً ، ومن تحتنا نوراً ، ومن بين أيدينا نوراً
ومن وراءنا نوراً ، وعن أيماننا نوراً وعن شمائلنا نوراً ، وفي قلوبنا نوراً
واجعلنا نوراً .

وهذا الكتاب قد احتوى على مجموعة من الموضوعات الإسلامية
سهلة المذاق ، حلوة في طعمها كالثمار الدانية أردت بها وجه الله أولاً
وأردت بها ثانياً أن ينفع الله بها قارئها ، خاصة الذين يعملون في مجال تبليغ
رسالات الله ، فإنها صالحة للمنابر إذا ما قدم لها بالحمد والشهادتين وقد
بذلت فيها — مستعيناً بالله — أقصى ما أستطيع يبذله ، وهذا جهد المقل
فإن أكن أحسنت فما توفيقى إلا بالله، وإن أكن غير ذلك فمن نفسى والنفس
في ميسس الحاجة إلى عفو الله، فاللهم تقبل هذا الكتاب بقبول حسن وأنبت
ثمرته في القلوب نباتاً حسناً . إنك نعم المولى ونعم النصير وبالإجابة
جدير ، وصلى الله على البشير النذير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى
آله الطيبين الطاهرين .

المؤلف

عبد الحميد كشك

من آيات الله

آيات الله تعالى وكلماته التكوينية ومعجزاته الميثوقة في الأكوان سواء منها الأفاقية والأنفسية لا يحصرها عد ولا يحيط بها حد « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم » . .

إن الله تعالى أيد أنبياءه بالآيات القاطعة والبراهين الساطعة، وجاءت تلك الآيات متنوعة ومتعددة . فمنها المعجزة القولية ونعني بها القرآن الكريم . . وهو ذلكم اللفظ العربي المنزل من عند الله تعالى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق الوحي المتعبد بتلاوته، المتحدى بلفظه المنقول إلينا بالتواتر ، وهو نقل جمع عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب .

نعم : إذا كان هذا قرآنا صامتاً فإن القرآن كون ناطق ، وإذا كان ذلك كذلك فقد كان محمد صلى الله عليه وسلم قرآنا يمشي بين الناس .

إن القرآن هو المعجزة الخالدة لا ينضب معينه، بل كان وما زال وسيظل غصاً ندياً يتقاطر نوراً ورحمة لا يستطيع الزمان أن ينال منه مهما تطاولت الآماد وامتدت الآباد فإن عهده بالحياة متجدد دائماً « قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً » .

« نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين » .
إن ذلك القرآن لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط بينهما ناظم ، شرف هذا
الوجود عزة الأمة ذلك الكتاب « قل لو كان البحر مداداً لكلمات
ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي » .

لذلك فإن أشرف كتاب هو ذلك القرآن العظيم . . نزل على أشرف
نبي .. هو محمد صلى الله عليه وسلم على خير أمة هي أمة الإسلام ، في خير
شهر هو رمضان المعظم بواسطة خير ملك هو سفير الأنبياء ، وكبير أمناء
وحى السماء في خير ليلة هي ليلة القدر ، في خير بلد هي مكة المكرمة ،
بخير لغة وهي اللغة العربية من أعلى مستوى « ولأنه في أم الكتاب لدينا
لعلى حكيم » بأقوم نهج « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً » بأعظم هدف « فمن اتبع هداى
فلا يضل ولا يشقى » .

لذلك قرر العلماء أن أفضل أولياء الله هم أنبيأؤه ، وأفضل أنبيأئه
هم المرسلون منهم ، وأفضل المرسلين هم أولو العزم نوح وإبراهيم
وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك
وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .
وقال تعالى « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم

وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً .

وأفضل أولى العزم محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وإمام المتقين وسيد ولد آدم، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا وخطيبهم إذا وفدوا صاحب المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون والآخرون ، وصاحب لواء الحمد وصاحب الحوض المورود وشفيع الخلائق يوم القيامة ، وصاحب الوسيلة والفضيلة الذى بعثه بأفضل كتبه ، وشرع له أفضل شرائع دينه ، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما فاق به من قبلهم ، وهم آخر الأمم خلقاً وأول الأمم بعثاً ، كما قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناها من بعدهم فهذا يومهم الذى اختلفوا فيه — يعنى يوم الجمعة — فهدانا الله له » الناس لنا تبع فيه غدا لليهود وبعد غدا للنصارى » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أول من تنشق عنه الأرض » .

وقال صلى الله عليه وسلم « أتى باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول أنا محمد فيقول : بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك » .

وفضائله صلى الله عليه وسلم وفضائل أمته كثيرة ، ومن حيث بعثه الله جعله الله الفارق بين أوليائه وبين أعدائه ، فلا يكون ولياً لله إلا من آمن به

وبما جاء به واتبعه باطناً وظاهراً ، ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه
فليس من أولياء الله ، بل من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان
« قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » .

قال الحسن البصرى : رحمه الله ادعى قوم أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه
الآية محنة لهم ، وقد بين الله فيها أن من اتبع الرسول فإن الله يحبه ومن ادعى
محبة الله ولم يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم فليس من أولياء الله .

« وعزتي وجلالى لو سلكوا إلى كل طريق واستفتحوا على كل باب
ما فتحت لهم حتى يأتوا خلفك يا محمد » .

والقول الفصل الذى لا مرأى فيه ، هو ما بينه عالم الغيب والشهادة فى
قوله تعالى « ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون
الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى
يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن
المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم
والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا
النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون قل يا أيها الناس إني رسول الله
إليكم جميعاً الذى له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت
فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلمكم
تهتدون » .

ومسك الختام فى تلك القضية التى تقرّر وجوب الإيمان بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » .

فاللهم ارزقنا إيماناً صادقاً ، وعملاً متقبلاً ، ولساناً ذا كراً وبدناً على البلاء صابراً ، واجمع لنا بين خيرى الدنيا والآخرة .

الثبات على المبدأ

علمنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الثبات على المبدأ مهما أدهمت الخطوب واحتدمت المحن - وقد تجلّى ذلك بصراحة ووضوح عندما اشتد الأذى على قائد المسلمين الأعظم ، فكلّموا عمه أبا طالب في شأنه أن أمنع ابن أخيك عنا . واستدعاه عمه وقال له ، يا ابن أخى دع هؤلاء القوم وشأنهم ورفع الرسول رأسه والعبرات تترقرق في عينيه وقال قوله الشهيرة التى أصبحت مثلاً وأصبح الجليل بعد الجليل يرويها قال : والله يا عمى لو وضعوا الشمس في يمينى والقمر في يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه ، فقال له أبو طالب : يا ابن أخى قل ما بثت فوالله لا أسلمك إليهم أبداً ثم قال : والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا ولقد علمت بأن دين محمد .. من خير أديان البرية ديناً . هذا هو الثبات في أجل معانيه ، ضربه مثلاً للبشرية أستاذ الإنسانية الأكبر ، وها نحن أولاً نقدم خريجاً تخرج في هذه المدرسة التى كانت شعارها « لو وضعوا الشمس في يمينى » إنه الصحابى الجليل عبد الله بن حذافه .

إنه مجاهد كريم من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، يناضل فيصدق في النضال ويدوق مرارة الأسر فلا يلين ولا يهون ، بل يثبت

ويصبر ويضرب مثلاً رائعاً في الاحتمال وحسن الاحتمال لتحقيق الخير
للاسلام والمسلمين .

إنه الصحابي الجليل عبد الله بن حذافه السهمي رضى الله عنه ، وهو
أحد السابقين إلى الإسلام « والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات
النعيم ، ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين » وكان من المهاجرين إلى الحبشة
وشاركه في الرحلة أخواه : قيس وخنيس . . وشهد غزوة بدر ، فكان
من الذين قال فيهم الصادق المصدوق رسول الله صلى الله عليه وسلم . .
« لعل الله أطلع على أهل بدر فقال لهم « اعملوا ما شئتم فإنى قد غفرت لكم » .
وظل مجاهداً مناضلاً في رحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
اختاره ليكون مبعوثه إلى كسرى ملك الفرس ، ليدفع إليه بكتاب يدعو
فيه إلى الإسلام . ويقول له فيما يقول « أدعوك بدعاية الإسلام فإنى رسول
الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، أسلم
تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس » يعنى أهل فارس لأنهم يعبدون النار
ووصل عبد الله بن حذافه قصر كسرى ، وطلب مقابلته ليقدم إليه
الكتاب ، فأراد بعض الخاشية أن يأخذ منه الكتاب ليسلمه أو ليرفعه —
إلى مولاه كسرى « فأبى عبد الله ، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أمرنى أن أسلم الكتاب بيدي إلى كسرى نفسه — وبعد تمنع ومراجعة
أدخلوه على كسرى . فأقبل نحوه بلا خوف ولا وجل ، وبلا تقيد بأوضاع
كانوا يلتزمونها عند لقاء كسرى ، وكلها تدل على تجبر الحاكمين المتألهين في

المحكومين المستضعفين ، ومد عبد الله يده بالكتاب إلى كسرى ، وكأنه يقول له خذ هذا لك ، فتسلم كسرى منه الكتاب وأعطاه لمن يقرأه ، فإذا في أوله : « من محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى كسرى أن يذكر اسم الرسول قبل اسمه ، فأخذ الكتاب من يد قارته ومزقه ، قبل أن يعلم ما فيه . ومع أن عبد الله بن حذافة رجل غريب وحيد ، وفي داخل عرين الأسد المتوحش الهائج ، ومن حوله الجنود والحراس والخدم والحشم لم يخف ولم يفرغ ، بل لعل نور الحق أضياء في جوانب فؤاده ، فأدرك أن نهاية هذه الطاغية قريبة ، مادام يندفع في تهوره ورعونته . بهذه الصورة ، ولم يتحرك عبد الله من مكانه حتى أمر كسرى بإخراجه ليعود إلى بلاده . ولما عاد وأخبر الرسول بما كان ، قال عليه الصلاة والسلام « فرق الله ملكه » وكانت دعوة أجزاها القدر على لسان النبوة ، فما هي إلا أيام حتى لقي كسرى مصرعه على يد ابنه شيرويه ، كما تقول بعض مصادر التاريخ ، ويقال أن ابنته خلفته من بعده ، فلما بلغ ذلك النبي قال : « لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة » ومضت الأيام والأعوام ، وابن حذافة حيث هو من موقعه في نصرة الإسلام ، وأقبل عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى فرق بكتائب الإيمان طغيان الأكاسرة . وبغى القياصرة وقد جهز عمر أحد الجيوش إلى بلاد الشام ليحررها من طغيان الروم المحتلين لها ، وكانت حكمة الشام « حينئذ تطلق على سورية ولبنان وشرق الأردن وفلسطين ، وكان عبد الله بن حذافة من جنود هذا الجيش ، وبذل في

الجهاد ما استطاع ، ثم وقع أسيراً مع جمع من أخوته وزملائه في النضال والكفاح والسلاح وكان أسرهم في بلده « قيساريه » من أرض فلسطين المحتلة وأظهر عبد الله شجاعة أذهلت جنود الروم ، فحملوه إلى ملكهم فعرض الملك على عبد الله وسائل التأثير المختلفة ليخضع أو يخنع ، فلم تجدد معه شيئاً . عرض عليه أولاً أن يعطيه الواسع الفسيح من العقار والديار على أن يترك دينه . فقال له ابن حذافة : والله لو أعطيتني جميع ما تملك ما رجعت عن ديني طرفة عين : فطالبه بأن يخبره بأسرار جيش المسلمين ، فأبى واستعصم فهدده الملك بالقتل فأجاب ابن حذافة : أنعم بها من شهادة ، فعلقوه على هدف كالمصلوب ثم أمر الملك الرماة بأن يرموا سهامهم قريباً من بدنه لإخافته وإرهابه ، ولكن الطود الشامخ الثابت الوطيد الإيمان واليقين ظل شامخاً راسخاً لم يخف ولم يفرغ ، فحلوا وثاقه ، ليقتلوه إلى لون آخر من ألوان التعذيب ، وهنا بكى عبد الله بن حذافة ، فظن أعداؤه أن الضعف قد أدركه ، ولكنه أفرعهم وأرعبهم حين قال للملكهم « لا ترى أنني بكيت جزعاً بما تريد أن تصنع بي ولكني بكيت حيث ليس لي إلا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله أكنت أحب أن يكون لي من الأنفس عدد كل شعره فما ثم تسلط على فتفعل بي هذا ، ثم حبسوه في سجن انفرادي بلا طعام ولا شراب ، ولكنهم وضعوا بجانبه خمرأ ولحم خنزير فكش عبد الله ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ، حتى بدأ الضعف عليه ، ولما سألوه : لماذا لم تأكل من لحم الخنزير ولم تشرب من الخمر ؟ أجابهم

بقوله : إن الضرورة تجيز لى هنا أن آكل من لحم الخنزير وأن أشرب من الخمر ، لأن الله تعالى يقول : « فن اضطر في مخصصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم » ولكنى كرهت أن تشمتوا بالإسلام .

وازداد إعجاب الملك الداخلى بشجاعة عبد الله بن حذافة فرمى إليه بآخر سهم فقال له : قبل رأسى وأن أطلق سراحك ففكر عبد الله قليلا . ثم أجاب بقوله : أن نفسى لا تعينى ولكن إن أفرجت عن أخوتى الأسرى قبلت رأسك . وفرح الملك المغرور ، فظل همه محصوراً فى أن يكلف هذا الأسير العملاق بأى شىء يطيعه فيه ويعمله ، وبعد أن أخذ عبد الله المواثيق عليه قبل رأسه ، فأفرج عنه الملك وأفرج له عن ثمانين أسيراً من المسلمين . وعاد ابن حذافة معهم إلى الخليفة عمر بن الخطاب فلما رآهم فرح بهم فرحاً شديداً ، وحمد الله على نجاحهم ، وكانهم قد ولدوا فى نظره من جديد وسألهم عن أخبارهم فقص عليه عبد الله بن حذافة ما حدث . وهنا قال عمر لمن معه من المسلمين : حق على كل مسلم أن يقبل رأس ابن حذافة وأنا أبدأ وسارع عمر بالنهوض وأقبل على رأس ابن حذافة يقبله تكريماً له وتابعه فى ذلك كل من حضر ، وشتان بين تقبيل وتقبيل ، فتقبيل ابن حذافة لرأس ملك الروم كان لونا من الاحتيال لإطلاق سراح زملائه والحرب خدعة أما تقبيل عمر والمسلمين لرأس ابن حذافة فإنه تقبيل التكريم والتقدير والحب . فقد شهدوا أمامهم مثلاً من أمثلة البطولة الفدائية الصابرة ورأوا كيف جمع عبد الله بن حذافة بين قوة النضال وطول الاحتمال

وحسن الاحتياط وتابع ابن حذافة نضاله فاشترك في فتح الإسلام لمصر مع القائد عمرو بن العاص ولما استقر عمرو في القسطنطينية أرسله إلى عين شمس ففتحها وصالح أهل قراها، ثم جعله عمرو حاكماً على الاسكندرية بعد فتحها .

وبعد حياة طويلة جلييلة مجيدة ضم ثرى مصر رفات عبد الله بن حذافة السهمي رضى الله عنه ، لأن التاريخ يقول إنه مات فيها خلال خلافة عثمان ابن عفان .

فليت هذا الثرى يذكر أبنائه ببطولات أجدادهم وصفحات أمجادهم حتى يسير الأبناء على الدوام في طريق الآباء .

نماذج من الآيات الإلهية

تحدثنا عن المعجزة القولية الخالدة التي لا تتغير بمرور الزمان واليوم نتحدث عن القسم الثاني من المعجزات وهو المعجزة الفعلية وهذا قسم استفاضت به الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة وقد أجرى الله على يدي نبينا صلى الله عليه وسلم من هذا النوع الكثير من ذلك الإسراء والمعراج وانشقاق القمر قال جل « شأنه أقربت الساعة وانشق القمر » .

وقد ثبت ذلك أيضاً بصحيح السنة فقد اجتمعوا متحدين رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظروا إلى القمر ليلة التمام فرأوه منشقاً فاذا قالوا ؟ كانت هذه الآية المعجزة الكافية أن تبعث الهدى في قلوبهم ، ولكنهم قالوا والحق أمامهم أجلى من الشمس في ضحاها ، وهي تضرب وجه الأرض بسياطها الحامية ، قالوا إن محمداً سحر عيوننا فرأينا القمر هكذا منشقاً ، اسمع قول الله تبارك وتعالى « أقربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ولقد جاءهم من الأنبياء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغنى النذر » .

إنها آيات كالصواعق تسير الجبال وتحرك العوالم ، وكيف لا ومنزلها جل جلاله يقول « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » .

ولكن قلوب هؤلاء المعاندين أشد صلابة وأقسى جموداً من جلاميد الصخور قال تعالى « ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون » وهم يعلمون علم اليقين أن نبي البشرية صلى الله عليه وسلم برىء كل البراءة من السحر بل إن كتاب الله شفع بالذين يمارسون هذا المنكر قال تعالى « واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمون من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتننة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » .

وهذا الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم هو الذى قال « اجتنبوا السبع الموبقات قالوا وما هن يا رسول الله قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات والتولى يوم الزحف أى الفرار من ميدان القتال عند التحام الصفوف — وهو النبي الذى قال من أتى ساحراً أو عرافاً ثم صدقه فقد كفر بما أنزل على محمد وذلك لأن الله تعالى يقول « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول » .

وقد جاء فى السنة المطهرة أن من ذهب إلى ساحر أو عرافاً ولو لم

يصدقه فإن الله لا يقبل منه عمل أربعين يوماً» فهذا صريح في أن مجرد الذهاب إلى هؤلاء وأمثالهم إنما هو اهتزاز عنيف في العقيدة الصحيحة . ألم تقرأ قوله تعالى « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين » ثم ألم تسمع قوله جل شأنه يخاطب حبيبه ومصطفاه فيقول « قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون » ثم ألم يصلك قوله جل شأنه « إنا كل شيء خلقناه بقدر وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر » ألم تقرأ قوله تعالى « وكل صغير وكبير مستطر » ثم ألم تفهم الرد الإلهي الحاسم على قوم أصابتهم هزة فقال الله عنهم « وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ويقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذي كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم ويمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور » .

فاعلم يا أخا الإسلام إنه لا يجري في هذا الكون شيء إلا وقد سبق به علم الله لا تهب نسمة هواء ولا تطرف طرفة عين ولا يقع شيء صغير أو كبير إلا وقد سبق به العلم القديم ، وخطه القلم البديع في اللوح المحفوظ .

لما حدث ما حدث يوم أحد قال جماعة « إن هذا أي من أين جاءنا

هذا وجاء الرد الإلهي حاسماً وجزماً قال تعالى « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنا هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير وما أصابكم يوم التقى الجمعان فيلذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين . »

أيها المسلم إن رسولك الكريم يقول كل شيء بقضاء فلم الذهاب إلى أهل الباطل من العرافين والدجالين وأنت تعلم أن ما قدر على فكيف أن تمضغه مامضغه « بعزة ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون . »

إن الإسلام هو دين الحقائق جاء ليظهر القلوب من الأباطيل وبين حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، فالإسلام عزيز وقوى ينظر إلى الأمام دائماً « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور . »

عجباً أيوصف هذا النبي بعد ذلك بأنه ساحر ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم . فاللهم اشف صدورنا وأيدنا بالحق .

المعجزة والسحر

شтан ثم شتان ما بين المعجزة والسحر ذلك لأن المعجزة حقيقة مبنية على حق واقع لا مرأ فيه ، ولا لياس ولا غموض ولا اشتباه إذ هي آية من آيات الله المبينة وبرهان من براهينه الساطعة القاطعة لأنها أمر خارق للعادة يظهره الله على يد الأنبياء تصديقاً لهم مع عجز جميع الخلق عن الإتيان بمثله أما السحر فإنه صرف الأشياء عن حقيقتها قال تعالى « فأنا تسحرون » أى فكيف تصرفون عن الحق يقال (سحره) إذا صرفه عن الحقيقة .

ولذا فإن السحر مبنى على تخيلات فى الحواس أو أوهام فى العقل قال الله تبارك وتعالى قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سبيطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون .

وقال جل شأنه « إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى » ومن هنا فقد كان السحر كبيرة بل من أكبر الكبائر قال صلى الله عليه وسلم « من سحر فقد كفر » وإنما ينشأ السحر عن اتصال ممقوت بين الإنس الشرير والشياطين المردة قال جل شأنه « ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مشواكم خالدين فيها إلا ما شاء

الله إن ربك حكيم عليم وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون »

ومعنى قوله جل شأنه «ربنا استمتع بعضنا ببعض» أى انتفع بعضنا من بعض فالشيطان لا يخدم الشرير من الإنس إلا إذا كفر فقرأ بعضهم يتخذ صنماً فيسجد له أو يستهين بالمصحف إلى غير ذلك من مظاهر السوء والفحشاء عندئذ يقوم الشيطان بما يشير عليه الإنس وبما يأمره به من فعل السوء وهذا هو انتفاع الإنس بالشيطان، فهل لذلك من علاج حتى يقينا الله شر الشياطين وأعوانهم من شرار الإنس؟ نعم إن الشيطان قال للصحابي الجليل أبى هريرة وقد أمسك به الصحابي يسرق طعاماً من بيته قال له إن أردت أن يكفيك الله شرنا يا أبا هريرة، فعليك بقراءة آية الكرسي ولما ذكر ذلك أبو هريرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الصادق المعصوم «لقد صدقتك وهو كذوب» كذلك من الأذكار التي تكيد للشيطان وتدحره وترجمه مذموماً محسوراً هذا الذكر «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم آمنت بالله العظيم وكفرت بالحبث والطاغوت واستمسكت بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم والمراد بالحبث الصنم والمراد بالطاغوت الشيطان أو كل ما استفحل طغيانه وشره من الإنس والجن وإن أردت يا أخى أن يحفظك الله من شرور الشياطين وأعوانهم فاعمل بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بأن تقرأ قبل النوم المحصنات الثلاثة قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثلاث مرات هذه السور تقرأها بين كفئك ثم تنفل في كفئك

ثلاث مرات وذلك بنفخ خفيف دون إخراج ريق وتمسح بها جسمك وتعلمها أولادك فن لم يستطع أن يتعلمها لصغر سنه فحصنه أنت، ولا تنسين أن هذه الفائدة من صيدلية مبعوث العناية الإلهية، مجربة وصحيحة وكذلك إذا دخلت بيتك فألقى السلام على أهلك يكثر الخير في بيتك ويولى الشيطان مدبراً يقول لإخوانه لا بيت لكم عند هذا الرجل، فإذا جلست إلى طعامك فابدأ باسم الله إنك إذا فعلت ذلك قال الشيطان لإخوانه لا عشاء لكم فإذا نسيت البسملة في أول الطعام وتذكرتها أثناءه قل بسم الله أوله وآخره .
وإذا دخلت بيتاً لا أحد فيه ، فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .
واعلم يا أخى أن ذكر الله بالبيوت يرفع من شأنها عند الله والبيت الذى يقرأ فيه القرآن، يتسع لأهله وتسكنه الملائكة وتطرد منه الشياطين، ويكثر الخير فيه، فعليك بالإكثار من ذكر الله «في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب» .

واحرص على صلاة النافلة أى السنن فى بيتك قال صلى الله عليه وسلم الصلاة نور أى صلاة الرجل فى بيته نور لمن شاء نور بيته وقال صلوات ربي وسلامه عليه اجعلوا من صلواتكم فى بيوتكم ولا يجعلوها مقابر ، وحرص على صلاة الفريضة فى المسجد « بشر المشائين فى الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة » .

قال الإمام جعفر رضى الله عنه عجبت لمن ابتلى بأربع كيف ينسى
أربعاً : عجبت لمن ابتلى بالخوف كيف ينسى قول الله تعالى حسبنا الله
ونعم الوكيل وقد قال الله تعالى « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا
لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة
من الله وفضل لمن يمسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

وعجبت لمن ابتلى بالضر كيف ينسى قوله تعالى « مسنى الضر وأنت
أرحم الراحمين » وقد قال تعالى « وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر
وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر » .

وعجبت لمن ابتلى بالغم كيف ينسى قوله تعالى « لا إله إلا أنت سبحانك
إنى كنت من الظالمين » وقال تعالى « وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن
لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت
من الظالمين فاستجبنا له ونجينااه من الغم وكذلك ننحى المؤمنين » وعجبت
لمن ابتلى بمكر الماكرين كيف ينسى قوله تعالى « وأفوض أمرى إلى الله
إن الله بصير بالعباد » .

وقد قال سبحانه وتعالى « فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى إلى
الله إن الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا » .

الحضارة على طريق الانتحار

روجيه جارودى هو واحد من ثلاثة من أكبر شراح الماركسية وطلبة الفكر الشيوعى فى أوربا وعلم من أعلام الفلسفة فى فرنسا ومكافح حمل العلم والبنديقية فى وجه الظلم طوال حياته .

هذا الفارس المقاتل والملاح الذى طوف البحار السبعة قد أتى مراسيه على شاطئ الإسلام ورفع راية لا إله إلا الله ولنستمع إلى الرجل يروى القصة .

كانت بداية الصحوة ذلك البيان السرى الذى ألقاه خروشوف عن ستالين سنة ١٩٥٦ ذلك البيان الذى هتك الستر عن الارهاب والقمع والدم والإعدام والتعذيب والديكتاتورية البشعة التى مارسها ستالين ومن ورائه الحزب الشيوعى .

ثم كان غزو روسيا للمجر بالدبابات ثم اجتياح الجيش السوفيتى لتشيكوسلوفاكيا ثم إرغام الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى على التخلي عن اعتراضاته عام ١٩٦٩ ثم غزو أفغانستان وإخضاع شعبها المسلم بالحديد والنار والغازات السامة .

ويعلق جارودى بمرارة ساخرة : هؤلاء الثوريون المزيفون الذين حاولوا تغيير كل شىء ما عدا أنفسهم .

وهكذا انتهت علاقة جارودي بالشوعية السوفيتية، كما انتهت علاقته من قبل بالرسمالية الأمريكية .

وكتب عن الحضارة التي تنتحر، تلك الحضارة المادية التي خلعت الله عن عرشه وأقامت الإنسان مكانه، وجعلت من الإنسان لها سيداً على الكون والطبيعة ... وكيف دمر الإنسان الطبيعة ولوئها بفضلاته، وهو الآن يوشك أن يدمر نفسه، وفي تحليل دقيق حاول أن يضع يده على ثغرات هذه الحضارة .
إن النموذج السوفيتي والنموذج الأمريكي كلاهما وجهان لعملة واحدة وحضارة مادية واحدة تقدر الفرد .

وهذا التقديس أدى إلى ظهور أباطرة رأس المال والاحتكار في أمريكا، وفي الناحية الأخرى أدى إلى النظم الشمولية والدكتاتوريات التي أصبح الفرد فيها طاغية ينتلع المجتمع كله في داخله، وهو وإن كان يحكم باسم الحزب أو باسم الأيديولوجية فإن الظلم واحد في النهاية وإن اختلفت أسماؤه .

والعلاقات الاجتماعية في هذا اللون من الحضارة المادية، واحدة وهي علاقات عمودية التسلسل من الاستعباد والسخرة في المجتمعات الشيوعية أو علاقات أفقية من المنافسة والصراع في المجتمعات الرأسمالية ولذا كان طابع الحياة في الإثنين هو العنف وتصادم المصالح وإرادة الهيمنة والقوة .

والاقتصاد في هذه الحضارة المادية لا يهدف إلى نمو صحي بل يخدم نوعاً

من النمو الوحشى هدفه مجرد تشغيل الآلة حتى ولو كانت تنتج أشياء بلا فائدة، أو أشياء ضارة أو أشياء مدمرة وهكذا انتهى هذا النمو الوحشى إلى إنتاج القنابل الذرية والصواريخ ذوات الرؤوس النووية، وإلى ٦٥٠ ألف مليون دولار سلاح مقابل ٥٠ مليوناً يموتون جوعاً. وهواء ومياه وزراعات وأرض ملوثة بالخلخفات الإشعاعية، كيف يمكن أن نسمى هذا اللون من الحياة تقدماً.

وقد اشتعلت هذه الدول المتقدمة الحروب الصغيرة فى العالم الثالث وحاصرتها المؤامرات، لتجعل منه سوق سلاح تباع فيها فوائض إنتاجها وتجرب فيه أسلحتها الجديدة، وتستنفد الثروات القومية لشعوب تعيش تحت مستوى الفقر، وخلقت نوعاً من الإعلان والبروباجندا والدعاية بالتليفزيون والسينما والصحف والملصقات، وسلطته على الجماهير لترويج وتزيين منتجات لا تنفع، وأحياناً تضر، واستخدمت خداع الألوان وبريق الفن وأساليب الإيحاء، لاستدراج الناس إلى هذه الفاترينة الخادعة من البضائع الاستهلاكية، وإلى حياة فارغة من التبذير السفیه بهدف اختلاق حاجات ثم إشباعها، وكمثال عدد الأحد من النيويورك تايمز وهو ٩٠٪ إعلانات يستهلك من الورق ما يكفى لطبع جميع الكتب المدرسية التى تحتاجها الكامبيرون فى عام كامل.

وكل هذه الطاقة تذهب سدى فى سبيل ترويج ما ينفع وما لا ينفع ويحكم نظام التسويق قمة من رؤوس الأموال والاحتكارات والبنوك

في أمريكا أو استبداد بيروقراطي أعشى في روسيا ، بينما يعيش العامل في كلا النظامين في اغتراب دون هدف أو معنى ، كما الحيوان كل همه إشباع حاجاته ويعيش الكسل مجرد كائنات هامشية خاضعة لضرورات وصدف خارجية وتبدو الأحداث وكأنما هي ثمرة قوى وفاعليات عمياء متجابهة وتبدو الحياة مجرد عبث ولا معقول وقلق وغثيان، أما الثقافة والفكر والفن والبرامج التعليمية فهي مجنحة مسخرة لإعادة ترويع وتصنيع وطبع نسخ أخرى من هذه المجتمعات الفاسدة، والمساعداً المزعومة للعالم الثالث لا تساعد بل تجر هذه المجتمعات وتقيدنا إلى نفس العربة وإلى ذات النقط الآلى الاستهلاكي ولذات النمو الزحشي بلا هدف، والنتيجة أننا أمام نموذجين النموذج الأمريكي والنموذج السوفيتي، وكلاهما فاشل وكلاهما يجر عربة الحضارة على طريق الانتحار الكوني والثروات على هذه النماذج في بلادها غير ممكنة ، فقد درجت هذه النظم على أن تحمي نفسها بأجهزة بوليسية محكمة من التجسس والتخابر . . . والعلم في هذه الحضارة هو علم للعلم وفن للفن وحياة لمجرد الحياة بلا معنى أو حكمة، والفرد محور كل شيء وإشباع الحاجات هو الهدف ثم العودة إلى إشعال الشهوات لخلق حاجات جديدة تتطلب الإشباع من جديد . والإعجاب بالنفس وبالتقدم الكمي وإهمال وإنكار التسامى والارتفاع بالنفس عن هذه الحسائس هو محور تفكير الأفراد والجماعات ، وتدعى هذه النظم ميراثاً مزدوجاً للحضارة الإغريقية والرومانية والحضارة اليهودية المسيحية وتناسى أثر الإسلام تماماً ولا ترى في الإسلام إلا أنه مجرد مترجم وناقل للحضارة الرومانية أو مجرد

بدعة ترمى المسيحية بالتحريف والشرك ، أو مجرد آثار فكرية بائدة هي في مجموعها عقبة وليست حافزاً للتقدم وتدعى أن الإسلام فاقد للحياة ولا يستطيع أن يقدم شيئاً أو يعد بشيء .

ويرد جارودي قائلاً : غير صحيح إن الحضارة الإسلامية وقفت عند النقل عن اليونان دون عطاء ، بدليل الاختلافات الجوهرية بين نتاج الحضارتين فالرياضيات اليونانية وقفت عند المتناهي بينما اعتمدت الرياضيات العربية على فكرة اللامتناهي ، كما أن أداة المعرفة عند اليونان كانت علم المنطق بينما كانت عند العرب هي العلم التجريبي وكانت الفلسفة اليونانية فلسفة معرفة وعند العرب فلسفة عمل وفعل ، ولم يكن للتحتمية المأسوية اليونانية وجود في المنظور الإسلامي المنفتح على المستقبل التواق للتغيير ، وكانت النظرة الإسلامية نظرة جامعة بين العلم والحكمة « إقرأ باسم ربك » . والمسلم ينظر إلى كل شيء على أنه آية فيها شواهد الحكمة والعناية والقدرة الإلهية ، بينما العلم في الغرب مغلق على علموية وتكنوقراطية لا هدف لها سوى الكم والمزيد من الثراء والقوة والهيمنة .

واليوم يعيد التاريخ نفسه ، فرعى الإسلام الذي بدأ في مجابهة مع الفرس والروم ، نراه اليوم في مجابهة مع روسيا وأمريكا ، والإسلام يعلمنا أنه في ضوء الإيمان بالله يبدو لكل شيء حكمة ولكل حدث غاية خيرة وإن خفيت ويشعر كل إنسان أن لعذابه معنى وغاية وأن لا شيء يذهب سدى وأن الحياة مشروع إلهي جميل ، وأن لكل إنسان دوراً منسجماً مع الحركة

الكونية الكلية .. وهو ما يعطى المؤمن إحساساً بالوحدة والانتهاة والاستمرار، فالموت ليس نهاية القصة بل هو مجرد انتقال إلى حياة أخرى والإنسان مهاجر إلى الله دنيا وآخرة بلا توقف . . . والله في الاطلاق والسير في الاطلاق هو ترق بلا نهاية وذلك هو منتهى الأمل . . . وهدف المسلم ليس إشباع رغبته بل كبحها وقمعها وضبطها على قانون الحكمة الإلاهية والحرية ليست في تسلطك على غيرك وليست في تحصيلك لمزيد من اللذة لنفسك بل هي في تحررك من نفسك وانقيدك لربك . . . وبقدر عبوديتك لله بقدر انعتامك من ربة نفسك « فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك ربة » وفي اقتحام هذه العقبة الى هي النفس يكون التحرير الحقيقي من سجن الضرورة ثم تتواتر الصلوات مع شروق وغروب الشمس والكواكب ، وبذلك يندرج الإنسان في النظام الكوني حتى حركات الصلاة نرى فيها محاكاة جميلة لما يجري في الطبيعة، فالمصلى يقف كما تقف الجبال ويركع وينحني كما تنحني الأغصان إلى الأرض، ويسجد كما تسجد النجوم الغاربة لتلمس بيجبتها الأفق وكل المصلين نراهم يصطفون في دوائر مركزها الكعبة ومع اختلاف التوقيت من مكان لمكان نرى في كل لحظة جيئناً يسجد وجيئناً ينهض في فيض متدفق من العبادة وكل شيء في الكون مسلم لله قهراً متقاد لقوانينه بلا اختيار ماعدا الإنسان الذي أسلم باختياره، وتخطى الأسباب التي مسبها ليصوغ حياته على المشال الأسمى ، ذلك العروج الذي يسمو بالإنسان ويزكى جميع ملكاته هو منحة الإسلام للمسلم والإنسان في الإسلام خليفة لله في الأرض لمواصلة الخلق والإبداع

والعمار وإفشاء السلام والمحبة والرحمة والخير والعلم في الإسلام ، لا ينفصل عن الحكمة ولا عن الإيمان ولا عن الهدف الخير كما لا ينفصل الدين عن السياسة ولا الدين عن الاقتصاد بل الكل وحدة ناشطة إلى إرساء قانون الله في الأرض والله هو المالك لكل شيء والإنسان مستخلف يتصرف كأهـن على خزائن سيده نحن هنا أمام حضارة مختلفة وإنسان مختلف هكذا يعلن جارودي فالحضارة الأوربية الأمريكية لا تعطينا إنساناً بل حيواناً تعلمقت أعضاؤه فهو يمشى على القمر بأرجل صاروخية ويسمع بأذان رادارية ويرى بعيون الكترونية ويقتل بمخالب ذرية ولكنه حيوان ما زال واقفاً عن إشباع حاجاته وما زال واقفاً عند نفسه وهواء ورغباته لم يتخطها وهو ديناصور على طريق الانتحار والانتقراض .

أما الحضارة الإسلامية فتعطينا إنساناً تخطى حاجاته وتجاوز رغباته ثم بدأ يعلو على ذاته نفسها ثم بدأ يعلو على الزمن لينبئ المساجد ويخاطب الأزل ويناجى الأبد ويكسر قرقرة الحتميات وينعتق من ظلمة الغرائز .

والمجتمع الإسلامي لا تجمعه العصبية ولا القبلية ولا العنصر ولا اللون ولا الأرض ولا القومية ولا الوحدة التاريخية ولا الوحدة الاقتصادية إنما القاسم المشترك الذي يجمع الكل هو الإيمان بالله وبالرسل وبالجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله فهي جماعة ربانية تجمعهما التسامى والرغبة في تزكية النفس والعروج إلى الحضرة الربانية بالعمل الصالح والتخلق بمكارم الأخلاق وإدمان الخير والبر والصلاح .

نحن أمام خط سير أخذ بيد الإنسان إلى اللامتناهي بينما في نمط الحضارة الغربية لا نجد المستقبل إلا امتداداً كميّاً للماضي، ولا نجد الحياة إلا اكتفائية تسجن الإنسان في حدود أنانيته ومصالحه ورغباته وحاجاته .

بهذا الوضوح المبهر يرى جارودي الإسلام من الشاطيء الآخر من البحر وهو يرى فيه دين المستقبل ونظام المستقبل ، ويرى فيه طوق النجاة للعالم وهو يرى المسلمين قادرين على حمل هذا المشعل، شريطة أن يفتحوا باب الاجتهاد الذي أغلق منذ قرون، ويكسروا قوقعة الجمود ويعودوا للتفاعل مع العصر ويتخطوا الحرفية السلفية إلى فهم حركي لكل المتغيرات التي جددت على الساحة ، ذلك هو جارودي الذي أقبل بسيفه من قلب الأوروبية لنصرة الإسلام والمسلمين .

مرحباً بك طيباً

قال صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء قط شراً من بطنه فإن كان لا محالة فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه .

هذه حكمة بالغة نطق بها طيب القلوب والأبدان ومعالج الأرواح والأجساد محمد صلى الله عليه وسلم . وإذا كنا سنجلس أمام رمضان طيباً فإنه طيب للقلوب والأبدان والنفوس والأخلاق والمجتمع، إلا أننا في هذا المقام سنتعلم منه طب الأبدان على أن تكون لنا دعوة أخرى إن شاء الله تعالى، نتلمذ على يديه طيباً في القلوب والأخلاق . لقد عني الإسلام عناية كبرى ببناء النفوس وهذا هو المجال الصعب فقد يكون من الميسور تشييد ناطحات السحاب والأبراج الباذخة ولكن من الشاق بناء النفوس . . . فالإنسان جهاز معقد إلا ما رحم ربي . . . ولذلك لما التقى عمر بن الخطاب وهو أمير المؤمنين - بأصحاب الرسول في مسجده أدار الحوار الآتي : قال عمر ليذكر كل منكم ما يتمناه من الله قال أحدهم أتمنى أن يكون لي مثل أحد ذهباً أنفقه في سبيل الله، وقال آخر أتمنى ملء المدينة خيلاً أغزو بها في سبيل الله، وقال ثالث أتمنى أن يكون لي ألف عبد أعتقهم ابتغاء مرضاة الله، فقال أحدهم لعمر فإذا تمنى أنت يا أمير المؤمنين ؟ وكان عمر رجلاً المعبا عبقرياً نافذ البصيرة لمآح الذكاء قال: أتمنى أن يكون ملء هذا المسجد

رحالا أمثال أبي بكر الصديق . . يرحمك الله يا فاروق هذه الأمة
ويا عملاق الإسلام .

إن الإسلام وهو يعالج الفرد راعى فى ذلك ثلاثة جوانب الحسد والعقل
والقلب، وإذا كنا سنستمع إلى رمضان طيباً للأبدان فلننصت خاشعين إلى
قول الرسول صلى الله عليه وسلم « صوموا تصحوا » .

من الحقائق الثابتة أن البطنة بيت الداء وأن الحمية أصل الدواء فالشعب
بحر تجرى فيه الشياطين والجوع نهر تسبح فيه الملائكة . . ومن ثم تتبين
لنا الحكمة البالغة عندما أهدى المقوقس عظيم مصر إلى الرسول صلى الله
عليه وسلم هدية ، كانت عبارة عن جاريتين هما مارية وأختها سيرين
وبعض العسل ودابة يركبها وطبيب يقوم على علاج الرسول صلى الله عليه
وسلم فقبل الرسول صلى الله عليه وسلم الهدية وأسلمت مارية وولدت
له إبراهيم ، وأهدى أختها سيرين إلى الصحابي الجليل حسان بن ثابت ،
وشكر الطبيب وورده إلى المقوقس ولما سأله المقوقس لماذا ردك محمد ؟
قال الطبيب : ياسيدى لقد أرسلتنى إلى رجل جمع الطب كله فى كلمتين
« نحن قوم لا نأكل إلا إذا جعنا وإذا أكلنا لا نشبع » .

ماذا يقول الطب عن الصيام ؟

لقد قام الصيام بدور عظيم فى الطب بقسميه القسم الوقائى والقسم
العلاجى ومن الناس من يتوهم أن فى الصيام - وهو من أركان الإسلام -

مضرة تلحق بالصائم لما يصيب الجهاز الهضمي خاصة، وغيره عامة ولما يكون من بعض الصائمين من انفعال وغضب، وهذا خطأ لأن ما ذهبوا إليه ليس من الصيام في شيء ولكنه من ترك الاعتدال في طعام الإفطار والسجود، ولأنهم لم يراعوا ما يتناسب مع خلو المعدة النهار كله وقت الإفطار ولأن السحور يجب أن يقتصر على بضع لقيحات لأنه لا ضرر من الجوع في حد ذاته .

وبما أن الصيام يستعمل طبيياً في حالات كثيرة، ووقاية من حالات أكثر رأيت من الواجب أن أكتب عما ظهر طبيياً للآن من فوائد هذه الأوامر لقد ظهر أن الصيام يفيد في حالات كثيرة وهو العلاج الوحيد في أحوال أخرى وهو أهم علاج إن لم يكن العلاج الوحيد للوقاية من أمراض كثيرة فيستعمل طبيياً علاجياً في الحالات الآتية :

— اضطرابات الأمعاء المزمنة المصحوبة بتخمر في المواد الزلالية والنشوية ..
وهنا ينجح الصيام وخصوصاً مع عدم شرب الماء بين الأكلتين وأن تكون بين الأكلة والأخرى مدة طويلة كما في صيام رمضان ويمكن أخذ الغذاء المناسب حسب حالة التخمر وهذه الطريقة هي أنجح طريقة لتطهير المعدة .

— زيادة الوزن الناشئ من كثرة الغذاء وقلة الحركة فالصيام أمجح من كل علاج مع الاعتدال وقت الإفطار في الطعام والاكتفاء بالماء في السحور .

— زيادة الضغط الذاتي، وهو أخذ في الانتشار بازدياد الترف والانفعالات النفسية في هذه الحالة يكون شهر رمضان نعمة وبركة وخصوصاً إذا كان وزن الشخص أكثر من الوزن الطبيعي لمثله .

— البول السكري، وهو منتشر انتشار الضغط ويكون في مدته الأولى وقبل ظهوره مصحوباً عادة بزيادة في الوزن فهنا يكون الصيام علاجاً نافعاً ولا يزال الصيام مع بعض ملاحظات في الغذاء أهم علاج في هذا المرض حتى بعد ظهور الأنسولين، وخصوصاً إذا كان الشخص يزيد عن الوزن الطبيعي ولم يكن هناك علاج لهذا المرض قبل الأنسولين غير الصيام .

— التهاب الكلى الحاد والمزمن المصحوب بارتشاح وتورم .

— أمراض القلب المصحوبة بتورم :

— التهاب المفاصل المزمن وخصوصاً عند السيدات غالباً بعد سن الأربعين وقد شوهدت حالات تتمشى في شهر رمضان بالصيام فقط أكثر مما تتمشى مع علاج سنوات بالكهرباء والحقن والأدوية وكل الطب الحديث .

والصيام الذي كتب على المسلمين إنما كتب على الأصحاء . . . وهذا صحيح ولكن فائدة الصيام للأصحاء هي الوقاية من هذه الأمراض بل إن الوقاية فعالة جداً قبل ظهور أعراض المرض بوضوح، والصيام مدة شهر في السنة هو خير وقاية من كل هذه الأمراض التي تنتشر بزيادة الحضارة والترف .

أسأل الله أن يرزقنا الصدق في القول والإخلاص في العمل .

اعجاب الخلق في الصيام

أهم ما يميز الإسلام العظيم أنه دين الخلق ولكل دين خلق، وخلق الإسلام الحياء فيما ينادى دعاة الانحلال والفوضى بأن الأخلاق قيد لا معنى له، وبأن الزواج مبدأ فاضح يضع القيود والأغلال في أيدي النساء وبأنه لا مرجو له إلا البطن والمعدة بينما ينادى هؤلاء بتلك الترهات إذا بنى الإسلام صلى الله عليه وسلم يعلنها صريحة تجلجل في سمع الزمان إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق .

إن كان للأخلاق ركن قائم
في هذه الدنيا فأنت الباقى
المجد والشرف الرفيع صحيفة
جعلت لها الأخلاق كالعنوان

الصيام في الإسلام ليس مقصوراً على الإمساك عن المفطرات من شهوة البطن والفرج، إذ هو بهذا المعنى جسد لاروح فيه، فيضحى هامداً خامداً ، كأنه من سكان المقابر إنما الصيام خلق قويم ومبدأ عظيم وجل جلال الله إذ جعل الغاية منه التقوى فجمع في آية واحدة بين ثلاث قضايا بدأها بالإيمان في قوله « يا أيها الذين آمنوا » ثم ثنى بالصيام فقال « كتب عليكم الصيام » ثم بين أن الصيام لم يفرض عبثاً وحاشى الله أن يكون في

أمره أدنى عبث، بل إنه كتبه علينا كما كتبه على أم خلت من قبلنا لهدف أسمى وغاية عليا إن الهدف « لعلكم تتقون » .

وإذا كان علماء اللغة يقررون أن لعل تفيد الترجى وهو توقع حصول الأمر المحبوب فإن توقع الحصول يفيد الجهل بهذا الأمر، والجهل على الله محال إذ هو صفة من صفات النقص، والمولى تبارك اسمه متصف بكل كمال يليق بذاته منزّه عن كل نقص أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً فهو سبحانه لا يتوقع حصول شيء لأنه علم كل شيء علم ما كان وعلم ما يكون وعلم ما لا يكون لو كان كيف كان يكون .

ومن ثم فإن علماء اللغة قرروا أن لعل في حق الله تفيد الغاية، ومن ثم فإن المعنى « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لنتقوا » .

وكلمة التقوى كلمة جامعة تسع الدنيا وما فيها، وهى الكلمة التى كانت تجرى على السنة الناصحين يقدمونها نصيحة خالصة لكل مسلم أياً كان موقعه ، قال رب العالمين لنبيه صلى الله عليه وسلم « يا أيها النبي اتق الله » .

وقالها أحد الصحابة لفاروق هذه الأمة « اتق الله يا عمر » وغضب الجالسون ، وعمر يحسم الموقف بكلمات أصبحت مبدأ من المبادئ العمرية . . قال « لا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إن لم نقبلها » .

وقالها عمر لأهله وذويه بعدما تولى الخلافة . . قال يا آل عمر اتقوا الله . . فإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحم .

بل لقد كان لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز مستشار خاص يسمى عمر بن مهاجر . . قال له أمير المؤمنين يا عمر إن رأيتني ضللت فخذ بتلابيبي وهزني هزاً عنيفاً وقل لي « اتق الله يا عمر . . فإنك ستموت وقالها أحد العارفين المخلصين لهارون الرشيد . وهو يطوف بالبيت قال له اتق الله يا هارون فلم بغضب منه ولكن قال له أتناديني باسمي وأنا أمير المؤمنين ؟ قال له الرجل بكل بساطة ودون ما تعقيد إذا كنت أنادى على الله باسمه فأقول « يا الله » فكيف لا أناديك باسمك فابتسم أمير المؤمنين وتكررت كلمة التقوى في سورة الطلاق والله في ذلك حكمة بالغة فإن التقوى هي السلاح الأقوى ، تقوم باصلاح ذات البين ، وتطرد الشياطين من سكنى البيوت قال تعالى في هذه السورة « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » . وقال « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً » .

وقال « ومن يتق الله يكفر عند سيئاته . ويعظم له أجراً » .

وقال قبل ذلك « واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن » .

والتقوى في الصيام تظهر جلية واضحة ، لأنها من أعمال القلوب . وقد أشار الصادق المعصوم صلوات ربي وسلامه عليه إلى صدره قال التقوى : ها هنا وإذا كانت التقوى في أعمال القلوب فإن الصيام هو العبادة السرية التي لا يطلع عليها إلا اعلام الغيوب .

قد يستطيع المرء أن يأكل ويشرب في نهار رمضان ملء بطنه ويخرج

على الناس شاكياً من شدة الظمأ ، ونشوة الجوع ولكن من الذى يعلم ما فى الصدور ، الله يدرى ما تضممر . يعلم ما تخفى وما تظهر وإن خدعت الناس لم تستطع خداع من يطوى ومن ينشر .

إذن فالعلاقة وطيدة بين الصيام والتقوى كلاهما سر . ومن هنا فإن الله خص الصيام بخاصية عظيمة عندما قال فى حديثه القدسي الجليل : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجرى به » .

التقوى هى الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل . . فلا خداع ولا سمعة ولا رياء وهذا هو الخلق القويم . . لا يعلم ما فى الضمير ويسمع إلا الله .

إن المكارم أخلاق مطهرة

الدين أولها والعقل ثانيها

والعلم ثالثها والحلم رابعها

والجود خامسها والفضل سادسها

والبر سابعها والشكر ثامنها

والصبر تاسعها واللين باقيها

الصوم ضابط للنفس . . والنفس لا تضبط إلا من داخلها إذ هو إمساك عن الدوافع الفطرية . . وجهاد يمنع صاحبه أن يقرب طعاماً أو شراباً أو يأتي شهوة فهو حرمان مشروع . . وتهذيب بالجوع وخشوع لله وخضوع . .

يتجلى جهاد النفس فيه، فتقوى إرادتها وترتفع عن الدنيا « وكل ما يخل بالمرءات وتحارب الشيطان . قال سيد الأنام عليه الصلاة والسلام « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم .. فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش » وجهاد النفس أمر مطلوب .

لكل نفس وإن كانت على وجل
من المنسية آمال تقويمها
والنفس تعلم أنى لا أصادقها
ولست أرشد إلا حين أعصها
لا تركنن إلى الدنيا وما فيها
فالموت لا شك يفننا ويفنيها

رمضان شهر النصر

« ولقد نصركم الله بيدر وأنتم أذلة ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون » .
في العام الثاني من الهجرة وفي السابع عشر من رمضان وقعت غزوة بدر فقد تحرك معسكر الشرك إلى معسكر التوحيد ، وقال زعيمهم عمرو ابن هشام واللات والعزى لا تغادر بدرأ حتى نشرب الخمر وننحر الجزور وتغنى علينا القيان ، ونقتل المسلمين وتسمع بنا العرب جميعاً- ويرد القرآن الكريم في حزم « أم يقولون نحن جميع منتصر ، سيهزم الجمع ويولون الدبر » .

ويقف قائد المسلمين الأعظم ، يرسل هذه البرقية العاجلة إلى رافع السماء بلا عمد متحدثاً عن أصحابه . اللهم إنهم جياع فأطعمهم ، اللهم لأنهم عراة فاكسهم ، اللهم لأنهم حفاة فأحملهم .

هؤلاء العراة الجياع الحفاة، وقفوا في الميدان أمام قوم غلاظ الأكباد، جفاة الطبايع قساة القلوب . « إن الله يدافع عن الذين آمنوا ، إن الله لا يحب كل خوان كفور . أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير » فما هي بدر ؟ وماذا تم فيها ؟ وما نتائجها ؟ وكيف جرت الأحداث في ميدان القتال عندما صمتت الألسنة ونطقت الألسنة وخطبت السيوف على منابر الرقاب وأقدمت الرماح على الخطط الصعاب ، فلا ترى إلا رؤوساً تنثر ودماء تهدر .

إليك الإجابة عن هذه الأسئلة كاملة : ما هي بدر :

إنه ماء مشهود بين مكة والمدينة بينه وبين ساحل البحر الأحمر ليلة ، وهو المكان الذي شهد الجولة الأولى من جولات الحق مع الباطل ، ورد البغي والطفيان بعدما اشتد أواره واستعر ناره . . ونظراً لتفوق قوى الباطل الهائل في العدة والعدد ، فقد كان هناك لإحجام في بداية الأمر من المؤمنين لحوض القتال كأنهم لشدة ما هم فيه من جزع و رهب يساقون إلى موت محقق لا مهرب منه ، وقد عبر سبحانه جل شأته عن حالهم تلك فقال « كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » ولكن الله يريد أن يحق الحق بكلماته ، وينشر نوره في الأرض وليكون هناك درس عملي لكل الأجيال التي ستأتي على مر العصور يلقنها إن للنصر أسباباً حسية ومعنوية ، وأن الله سنناً مطردة وتوفيقاً يمنحه لخلقه المتمسكين بالحق والمدافعين عنه ، فترجع به كفة الضعفاء على الأقوياء ، والفئة القليلة على الفئة الكثيرة ، « وما النصر إلا من عند الله ، إن الله عزيز حكيم » .

وهكذا كانت غزوة بدر نصراً للمؤمنين وهزيمة للمشركين ، وعظة وعبرة وزاداً على مر التاريخ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

تحركت قوات المسلمين من المدينة لثمان خلون من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة سالكة طريق القوافل بين المدينة وبدر البالغ طوله حوالى (١٦٠) كيلومتراً ، وهدفها الاستيلاء على القافلة التجارية لقريش بقيادة أبى سفيان والتي كان يحميها بين ثلاثين إلى أربعين رجلاً .

بلغت تلك القوات للمسلمين (٣١٤) رجلا من المهاجرين والأنصار بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم . وكان معهم فرسان فقط وسبعون بغيراً . يتعاقب الرجلان والثلاثة والأربعة على البعير الواحد ، يتحقق في ذلك المساواة التامة حتى مع القائد الأعلى الذى رفض أى امتياز على جنوده فعندما عرض عليه شريكاه فى البعير وهما على بن أبى طالب ومرثد بن أبى مرثد الغنوى أن يركب هو ويمشيا قال لهما « ما أنتما بأقوى منى ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما .

كانت قوة المسلمين تتحرك بالترتيبات التالية :

أولاً : دورية استطلاعية أمامية للحصول على المعلومات عن اتجاهات القافلة التجارية ونوايا قريش .

ثانياً : القسم الأكبر مؤلف من كتيبتين : كتيبة المهاجرين ورايتها مع على لابن أبى طالب وعمير بن هاشم وكتيبة الأنصار ورايتها مع سعد بن معاذ : وهاتان اليرتان سوداوان .

ثالثاً : مؤخرة بإمرة قيس بن أبى صعصعة .

رابعاً : راية المسلمين العامة بيضاء مع مصعب بن عمير بن هاشم .

عندما وصل المسلمون (وادى زفران) قرب بدر جاءهم الخبر بخروج قريش من مكة لنجدة قافلهم ، وبلغت قوة المشركين (٩٥٠) رجلا معهم مائتا فرس يقودونها وعدد كبير من الإبل لركوبهم وحمل أمتعتهم وكانت

بقيادة عدد من رجالات قریش . . وعندما علموا بنجاة قافلهم تضاربت
الآراء، فمنهم من يريد الرجوع ومن هؤلاء بنو زهرة الذين رجعوا فعلاً،
ومنهم من يريد البقاء ومعنى ذلك الاصطدام بالمسلمين .

وانتصر رأى أبو جهل زعيم الذين أرادوا البقاء لقتال المسلمين، الذى
قال بجاهلية عمياء : والله لا نرجع حتى نرد بدرأ . فنقيم عليه ثلاثة ننحر
الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان وتسمع بنا
العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يز الون يهابوننا أبداً بعدها .

وهنا كان لابد من اتخاذ قرار من أصعب القرارات فى حياة المسلمين .
إنه قرار تاريخى يميز الله به الخبيث من الطيب ورغم ما فيه من صعوبات
ومشاق إلا أنه يحمل الخير كل الخير للإسلام والمسلمين .

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو
خير لكم . وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم » .

وقف الرسول يشاور أصحابه بما بلغه من أمر قریش ، فإن كانوا يريدون
الفائدة العاجلة وسفساف الأمور بالحصول على العير، وألا يلقوا ما يرزؤهم
فى أبدانهم وأموالهم بالقتال ومشقاته . فإن الله عز وجل يريد معالى الأمور
وما يرجع إلى عمارة الدين ونصرة الحق ، وعلو الكلمة . والفوز فى
الدارين، لذلك فقد اختار لعباده المؤمنين الطريق الأصعب ولكنه الأسمى
وهو طريق الجهاد ، وكسر قوة الشرك بإيمان المؤمنين : « ليمحص الله الذين
آمنوا ويمحق الكافرين » .

لذلك كان الرد على مشورة الرسول لأصحابه، هو الاستجابة لأمر الله تعالى، فقد أدلى أبو بكر وعمر برأييهما فأحسننا ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : « يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك ، والله لا نقول كما قال بنو إسرائيل لموسى :

إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا معكما مقاتلون فوالذى بعثك بالحق ، لو سرت بنا إلى برك الغماد - وهو مدينة باليمن - بلالدنا معك من دونه حتى تبلغه» ولما كرر الرسول كلمة : أشيروا على أيها الناس أحسن الأنصار أن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه يريد سماع رأيهم ، فقام سعد بن معاذ وأجاب إجابة المؤمنين الصادقين لرأيهم والحافظين لعهودهم فقال : «لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا وموآثيقنا على السمع والطاعة ، فامض لما أردت فنحن معك، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله .»

إن ما تفخر به العقلية العسكرية حالياً من تفتق ذهنها عما يسمى ، بالاستراتيجية ، وهى أساليب القتال وقواعده هو ما أرسى قواعده الرسول الكريم منذ أربعة عشر قرناً فى جميع غزواته وحقق فيها انتصارات باهرة

باستثناء غزوة أحد التي خالف فيها الرماة أوامره . . إن تلك الاستراتيجية التي وضعها الرسول كانت نابعة من إعلام القرآن له إن للنصر أسباباً حسية ومعنوية فلم يأل جهداً في تعبئة هذه الأسباب بجميع جوانبها . . ولا غرو فهو خير البشرية جمعاء والمعلم الأكبر لها . . لذلك فإن القائد الأعلى لجنود الحق لم يخص القتال إلا بعد استراتيجية محكمة تمثلت في الآتي :

— ارسال دوريتي استطلاع بغرض الحصول على معلومات عن قوة قريش ومواقعها حتى يكون التحرك من أرضية ثابتة .

— استشارة أصحابه في تحديد موضع معسكر المسلمين تبعاً للحرب والرأى والمكيدة وأشار عليه الحباب بن المنذر بأن يكون المعسكر بحيث يمتلك المسلمون مواقع الماء .

— أخذوا بقسط من الراحة ببقية الليل ليكونوا أقوىاء في الصراع الوشيك .

— انتخب الرسول موضعاً مشرفاً على منطقة القتال في بدر وبنى فيه مقره — العريش — وأمن حراسة هذا المقر .

— أمر الرسول أصحابه أن يصدوا هجمات المشركين ، وهم مرابطون في مواقعهم قائلاً لهم « إن اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل ولا تحملوا عليهم حتى تؤذنوا » .

— حدد لهم كلمة تعارف بينهم كشعار في القتال وهي : أحد . أحد . وهذا ضرورى في معركة يتشابه فيها الطرفان في كل شىء .

ولم يترك الرسول صلى الله عليه وسلم شيئاً يجعل المعركة في صالح المسلمين إلا اتبعه، وهكذا دخل المسلمون المعركة بمقر قيادة كامل وسيطرة لقائد واحد ، وأسلوب جديد في القتال لم تعرفه العرب من قبل ، هو أسلوب الصف .

سير القتال يوم بدر

بدأ المشركون الهجوم أولاً، إذ هجم الأسود بن عبد الأسد على الحوض الذى بناه المسلمون قائلاً: أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه فتصدى له حمزة بن عبد المطلب فضربه بالسيف ضربة أطارت نصف ساقه، ومع ذلك حبا إلى الحوض لاقتحامه وتبعه حمزة يقاتله حتى قتله فيه .

برز من المشركين عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة فخرج إليهم فنية من الأنصار، ولكن الرسول أعادهم وطلب خروج عبيدة بن الحارث وحمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب، لأنهم من أهله فهو يؤثرهم بالخطر على غيرهم ، ولأن شجاعتهم وممارستهم للقتال معروفة لذلك فإن نجاحهم مضمون على رجالات قريش، مما يرفع معنويات المسلمين ويضعف معنويات المشركين .

بارز عبيدة عتبة وبارز على الوليد وبارز حمزة شيبة أما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله وكذلك فعل على وأما عبيدة وعتبة فقد جرح كلاهما الآخر فكر على وحمزة بأسيا فهما على عتبة، فأجهزا عليه واحتملا صاحبهما .

استشاط المشركون غضباً لهذه البداية السيئة، فأمطروا المسلمين وابلا من سهامهم وهاجمتهم فرسانهم، إلا أن صفوف المسلمين بقيت صامدة

في مواضعها، تصوب نبالها على المشركين متوخية إصابة ساداتهم بالدرجة الأولى ولم يفتن المشركون لأسلوب المسلمين الحديد في القتال، مما جعل رجالات المشركين تهاوى بوابل نبال المسلمين المصوبة تصويماً دقيقاً والمسيطر عليها .

نزل الرسول بنفسه يقود صفوف الجند ، وكان المسلمون ينفذون أوامر قائدهم بحرص شديد وأمانة نادرة، وبشوق وطيبة خاطر عظيمين رأى الخطر محققاً بأصحابه، لأنهم قليلون وقريش تفوقهم عدداً وعدة فقابل ذلك بالصبر والتوكل على الله، وشجع أصحابه على الصبر في القتال بخوض المعركة بنفسه، وحسبنا شهادة على بن أبي طالب سيد الشجعان. حيث يقول إنا كنا إذا اشتد الخطب واحمر الحدق ، اتقيننا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله وهو أقربنا إلى العدو .

أما المشركون فلم يكن لهم قائد عام، كان أكثر سراة قريش مع قوات المشركين ولكن البارزين من هؤلاء على ما يظهر رجالان عتبة بن ربيعة وأبو جهل ، وهما لم يكونا على رأى واحد ولم يكن لهما هدف واحد بل أنهما كانا أقرب إلى العداوة منها إلى الإخاء، لذلك فقد طغت الأنانية الفردية على المصلحة العامة أثناء القتال، وحاول كل رجل من رجالات قريش أن يظهر نفسه بطلاً لتحدث العرب عنه، دون أن يكثر بأثر ذلك على نتائج المعركة .

ابتدأت المعركة صباح يوم الجمعة ١٧ رمضان من السنة الثانية للهجرة وانتهت مساءه، وبقى المسلمون ثلاثة أيام في بدر بعد المعركة ثم غادروها عائدين إلى المدينة بعدما استشهد منهم أربعة عشر مسلماً، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، أما المشركون فقد قتل منهم سبعون رجلاً وأسر سبعون أيضاً . لقد كانت معركة بدر صراعاً حاسماً بين عقيدتين، فانتصرت العقيدة التي تستحق البقاء على العقيدة التي تستحق الفناء .

للتصر أسباب فيجب مراعاتها، وهذه الأسباب إذا صحت وسلمت أدت إلى النصر المبين وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم وهذه الأسباب هي:

١ - قيادة موحدة : كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو القائد العام للمسلمين في معركة بدر ، وكان المسلمون يعملون يداً واحدة تحت قيادته يوجههم في الوقت الحاسم للمحل الحاسم للقيام بعمل حاسم وهذا هو واجب القائد الكفء .

٢ - تعبئة جديدة : طبق الرسول صلى الله عليه وسلم في مسيرة الاقتراب من المدينة إلى بدر تشكيلاً لا يختلف بتاتاً عن التعبئة الحديثة في حرب الصحراء أما في المعركة فقد قاتل المسلمون بأسلوب الصفوف، بينما قاتل المشركون بأسلوب الكر والفر .

٣ - عقيدة راسخة : كانت للمسلمين أهداف محددة يؤمنون بها جعلتهم يقاتلون في بسالة وشجاعة منقطعة النظير، لتكون كلمة الله هي العليا

حتى أن هذه العقيدة ألفت أشعتها على الأحداث الصغار أيضاً . قال عبد الرحمن بن عوف إنى لقي الصف يوم بدر ، إذ التفت فإذا عن يمينى وعن يسارى فتیان حديث السن ، فكأنى لم أمن بمكانهما، إذ قال لى أحدهما سرأ من صاحبه يا عم أرنى أبا جهل فقلت يا ابن أخى ما تصنع به ، قال عاهدت الله إن رأيت أنه أقتله أو أموت دونه، وقال لى الآخر سرا من صاحبه مثله فأشرت لهما إليه فشدوا عليه مثل الصقرين فضرباه حتى قتلاه .

٤ — معنويات عالية : لم يكن الرسول القائد فقط هو الذى يشجع على القتال ، ويرفع معنوياتهم ويقوى عزائمهم ، بل كان هناك المدد الأعلى ينزل به الروح الأمين « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم » .

الدروس المستفادة من بدر

لا أجد أبلغ من القرآن الكريم في دروسه ولقد نزلت سورة الأنفال في شأن غزوة بدر وفيها نداءات إلهية لو علمت بها الأمة لتبأت مكانتها فوق قبة الفلك وقبل النداءات كان بناء النفوس واضحاً وجلياً بناؤها على ماذا ؟ على الإيمان بالله والخوف منه سبحانه والعمل بما أنزل لإسمع معي إلى قوله جل شأنه .

« فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » . نعم ! تقوى وإصلاح ذات البين وطاعة لله ورسوله ؛ تلك معالم الإيمان، وأن يد الله تعمل في الخفاء فدعوها تعمل بطريقها الخاصة، فليس لأحد أن يستعجلها أو يقترح عليها .

ثم يبين بعد ذلك معالم المؤمنين فيبين لهم خمس خصال .

« إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » .

تلك الخطوط العريضة للجماعة المسلمة وهذا هو المنهج العام المستقيم لتكون أمة حقيقية وجديرة بأن ترث الأرض « ولقد كتبنا في الزبور

من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » ثم تتوالى النداءات الإلهية ترشد وتوجه وتحذر ومن أصدق من الله قيلا ومن أصدق من الله حديثاً « هل أنتم أعلم أم الله » الجواب « الله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

إن النصر فى الحرب لا يحرزه المقاتلون فقط، بل يتعاون على إحرازه المقاتلون فى الخطوط الأمامية والعاملون فى الخلف، لتهيئة أسباب النصر للمقاتلين، لذلك لم ينس الرسول صلى الله عليه وسلم العاملين فى الخلف حين قسم الغنائم بين الناس، وهو ما يؤكد أهمية الجبهة الداخلية وصمودها الإيماني فى تحقيق النصر .

إن دوريات الاستطلاع مفيدة فى الحصول على المعلومات للعمليات دون مباغته الأعداء ، وهذا ظهر جلياً فى تلك الدورية الاستطلاعية التى بعث بها الرسول ، للحصول على المعلومات عن قريش وقافلها .

إن الجيش الممتاز هو الذى يتحلى بضبط ممتاز، وقد كان المسلمون ينفذون أوامر قائدهم بحرص شديد وأمانة نادرة، وبشوق وطيبة خاطر عظيمين ومن حقهم أن يفعلوا ذلك ، لأن قائدهم يتحلى بصفات القائد المثالى : صبر فى الشدائد وشجاعة نادرة فى المواقف الحرجة ، نابعة من الاتصال بالله ، ومساواة لنفسه بأصحابه واستشارتهم فى كل عمل حاسم وأخذه بالمشورة ، وعندما اشتدت المعركة نزل يخوضها بنفسه .

إن معاملة الأسرى طبقاً لمبادئ الإنسانية، وحمايتهم من الاعتداء والإهانة قد أرست قواعدها غزوة بدر، فقد وزع الرسول صلى الله عليه وسلم الأسرى على صحابته قائلاً لهم « استوصوا بالأسارى خيراً » ثم فادى أغنياء الأسرى بالمال، أما الفقراء فقد أطلق سراح بعضهم دون مقابل، كما كلف المتعلمين من الأسرى بتعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة، ثم أطلق سراحهم بعد تعليم هؤلاء الأطفال .

وهذه الدروس نابعة من توجيهات الله للأمة المسلمة، في نداءاته لعباده المؤمنين « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار » .

« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون » .

« يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » .

« يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله ورسوله وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » .

« يا أيها الذين آمنوا إن تنقوا الله يجعل لكم فرقاناً » .

« يا أيها الذين آمنوا إذا فثتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » .

كل هذه النداءات وردت في سورة الأنفال .

أحب الأعمال إلى الله

هكذا جاء رمضان ومضى وأتى العيد وانقضى .

غدى سيصبح أمسى لا يعارض في ذلك حتى وأمسى لن يصير غدى .

فالأيام خمسة ، يوم مفقود ويوم مشهود ويوم موعود ويوم مورود
ويوم ممدود . أما اليوم المفقود، فهو الذى مضى ولن يعود وأما اليوم المشهود
فهو اليوم الذى أنت فيه والذى يناديك عندما ينشق فجره : ابن آدم أنا
خلقتك جديد وعلى عملك شهيد فاعتم منى فلانى لا أعود إلى يوم القيامة، وأما
اليوم المورود فهو الغد الذى لا يعلم ما فيه إلا الله إن الإمام مالك ابن أنس
رضى الله عنه رأى ملك الموت فى المنام ذات ليلة فسأله كم بقى من عمرى
فأشار له ملك الموت بأصابعه الخمسة قال الإمام أى خمس هي ؟ أسنون
أم أشهر أم أيام، ولكن الإمام استيقظ قبل أن يجيب الملك فذهب إلى محمد
ابن سيرين وهو عالم تعبیر الرؤيا وسأله أى خمسة ؟ فقال له ابن سيرين
يا إمامنا ليست هي سنين ولا شهوراً ولا أياماً وإنما يريد الملك أن يقول
لك أن سؤالك هذا فى خمسة أمور من الغيب لا يعلمهن إلا الله « إن الله عنده
علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب
غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير » .

أما اليوم الموعود، فهو اليوم الذى يتم فيه لقاء الإنسان بربه وجاءت
سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد .

قال جل شأنه يصور هذا المشهد « فلولاً إذا بلغت الحلقوم وأنتم
حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فلولاً إن كنتم
غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين فأما إن كان من المقربين فروح
وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب
اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم
إن هذا هو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم » إنه اليوم الذى ينادى فيه
الله على نفس المؤمن فيقول « يا أيها النفس المطمئنة إرجعى إلى ربك
راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى .

وتأمل معى قوله جل شأنه « ارجعى إلى ربك » لم يقل اذهبي أو أخرجى
إنما قال « ارجعى » ذلك لأنها من الله فإذا ما خرجت فإنما رجعت إلى
حصنها الحصين وركنها الركين، إن خروج المؤمن من ضيق الدنيا إلى سعة
الآخرة ، كخروج الجنين من ضيق الرحم إلى سعة الدنيا .

أما اليوم الممدود فهو اليوم الذى ينادى الله فيه على الخلائق أين الملوك
وأبناء الملوك ، أين الجبابرة وأبناء الجبابرة ، أين الذين عاشوا فى خيرى
وعبدوا غيرى ، لمن الملك اليوم فيجيب سبحانه على ذاته « لله الواحد
القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب .

كأني بقول القائل يخاطب رمضان الراحل :

فيا شهر الصيام فدتك نفسى
تمهل بالرحيل والانتقال
فما أدرى إذا ما لحولى ولى
وعدت بقابل فى خير حالى
أتلقانى مع الأحياء حياً أو
إنك تلقى فى اللحد بالى
فهذى سنة الدينيا دواماً
فراق بعد جمع واكتمال
وتلك طبيعة الأيام فينا
تبدد نورها بعد الكمال

هل انتهت أعمال البر بانتهاء رمضان وانقضاء العيد، وهل ستهجر المساجد ويقل فيها الراكع والساجد ، وهل سنعود إلى العادة ونترك فرائض العبادة كلا ليس للبر موعد محدد ينتضى بانقضائه وليس للصلاة شهر مخصوص تنتهى بانتهائه قال تعالى « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » وقال جل شأنه « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون » ..

وقال عز من قائل « والذين هم على صلاتهم دائمون » .

وأول ما يحاسب عنه العبد يوم القيامة الصلاة . . الصلاة مفتاح الجنة كما أخبر الصادق المعصوم، فخبّرني بربك كيف يدخلها من ليس معه مفتاح . أفيقوا أيها المسلمون من غفوتكم واستمعوا إلى هذا المشهد الذي يدور الحوار فيه بين أهل الجنة وأهل النار، قال تعالى « كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نحوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين » واليقين هنا هو الموت وسمى يقيناً لأنه الأمر الذي لا تشوبه شائبة الشك « كل نفس ذائقة الموت » قال تعالى « ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » .

هل انتهت أعمال البر بعد انقضاء العيد ؟ كلا واستمع معي إلى هذا الحشد ، وتلك الكوكبة النورانية من أحاديث الصادق المعصوم في البر والصلة .

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أى العمل أحب إلى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها قلت ثم أى قال بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد فى سبيل الله « (رواه البخارى ومسلم)

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجزى ولد والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتره فيعتقه» رواه مسلم وأبو داود وعن عبد الله

ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : « جاء رجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال جئت أبايعك على الهجرة وترك أبو يبيكان ؟ فقال ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما » . (رواه أبو داود)

وعن أنس رضى الله عنه قال : « أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه فقال هل بقي من والدك أحد ؟ قال : أمى قال : فقابل الله في برها فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتزم ومجاهد » رواه أبو يعلى والطبرانى والمعنى أنك لو أرضيت أمك حزت ثواب الندى حج واعتمر وحارب في سبيل الله .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال إني أذنبت ذنباً عظيماً فهل لى من توبة ؟ فقال هل لك أم ؟ قال لا ، قال : فهل لك من خالة ؟ قال : نعم قال فبرها » . (رواه الترمذى)

عن أبى بردة قال قدمت المدينة فأتانى عبد الله بن عمر فقال أتدرى لم أتيتك قال : قلت لا قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من أحب أن يصل أباه فى قبره فليصل لإخوان أبيه بعده وأنه كان بين أبى عمر وبين أبىك إخاء وود فأحبيت أن أصل ذاك » . (رواه ابن حبان فى صحيحه)

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من كان يؤمن بالله واليوم

الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت . (رواه البخارى ومسلم)

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أحب أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره — أى أجله — فليصل رحمه » .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : « أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بنحوال من الخير أوصانى ألا أنظر إلى من هو فوقى وأن أنظر إلى من هو دونى وأوصانى بحب المساكين والدينو منهم وأوصانى أن أصل رحمى وإن أدبرت وأوصانى ألا أخاف فى الله لومة لائم وأوصانى أن أقول الحق وإن كان مرأاً وأوصانى أن أكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة » . (رواه الطبرانى وابن حبان)

عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال الله عز وجل أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها إسماً من إسمى فن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته أو قال بته أى فصلته وقطعته » . (رواه أبو داود)

عن أبى هريرة رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل ما وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى قال فذاك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقروا

إن شتمّ فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم». (رواه البخارى ومسلم)

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا تقبل عمل قاطع رحم » . (رواه أحمد)

حقائق الأشياء ثابتة

قال أهل الحق حقائق الأشياء ثابتة، والعلم بها متحقق ومن حقائق الأشياء أن المعجزات حق واضح واقع وأن السحر والشعوذة أمر باطل، لأنه من عمل المفسدين وهذا الحديث نسوقه تنمة لبحثنا في المعجزات . هذه حقائق مقرررة عند علماء العقيدة ولكي يتضح المقال لا بد من الاستشهاد بمشاهد قرآنية يتضح فيها المعجزات وأباطيل السحر ، لقد اخترنا هذا المشهد من سورة الأعراف وأرجو القارئ أن يستحضر ذهنه ويعمل فكره وعقله في فهم هذا المشهد . وهذا المشهد يتكون من جزئين أولهما يتحدث عن السحر وما فيه من تخیلات حسية وأوهام عقلية وثانيهما يتحدث عن المعجزة وأنها حقيقة ثابتة وإليك المشهد الأول .

قال تعالى « وجاء السحرة فرعون قالوا إنا لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم لمن المقربين قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين قال القوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم » .

إلى هنا ينتهى مشهد السحر، وقد ثبت بما لا يدع مجالا للريب انه يخیل للهراس وصرف للأشياء عن حقيقتها .

ويأتى المشهد الثانى وفيه تبيين المعجزة أجلى من الشمس فى ضحاها

وفيها الحق يتجلى للقمر إذا تلاها وتشع على أيدي الأنبياء بصدقها كالنهار إذا جلاها وبين ليل السحر وظلمته ونهار المعجزة وضياه يقف العاقل موقفاً يطمئن له قلب المؤمن كما وقف السحرة عندما تبين لهم الحق وقالوا لفرعون آمنا برب العالمين رب موسى وهارون .

أما المشهد الذي يحدثنا عن المعجزة فقوله تعالى « وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون فوق الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون » .

قف معي عند قوله تعالى « وأوحينا إلى موسى » من الذي أوحى إنه الله لا دخل للشيطان فيه أما السحر فإن الشيطان هو الذي يلهم أوليائه لذا قال القرآن الكريم عن الحق المنزل « وما نزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون » وهذا فرق كبير بين المعجزة والسحر .

فالمعجزة وحى من الله والسحر تخيل من الشيطان . ثم قف عند قوله تعالى « أن ألق عصاك » فالحقيقة أنها عصا لا تخيل فيها ولا إيهام وعصا عادية يمسكها أى راع يرعى الغنم « وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى أتروكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى » هى العصا نفسها تنقلب من حقيقة إلى حقيقة أخرى تنقلب ثعباناً مينا بكل ما فى الثعبان من خواص خلقية، والثعبان هو حقيقة لا تخيل فيها ولا وهم . وفى ميدان السحر وقد ألقى السحرة الحبال والعصى، إذ بتلك العصا وقد

انقلبت ثعباناً تلقف كل هذا الإفك وفي لفظ (تلقف) ما يوحى إلى شدة ابتلاعها حتى انفض الميدان مما فيه ، خوفاً من هذا الثعبان الذى كأنه جان فى خفة حركته وقوة بأسه ولم يقل تعالى فإذا هى تلقف ما ألقوا من العصا والحبال إنما تلقف هذا الإفك والضلال .

ثم قف عند قوله تعالى « فوقع الحق » فى لفظ وقع الحق إلى أن جسماً ثقيلاً ارتطم فيها ، لا تخييل فيها ولا إيهام ثم يظهر الفرق جلياً بين المعجزة والسحر فى مشهد مهيب ورهيب ، فالمشاهدون للسحر لم تحروا ساجدين لعظمة السحرة وبحلال الموقف وبينما امتلأت أرض المباراة بالعصى والحبال وقال الناس فى غير حق، وكانوا متحيزين تحيزاً عشوائياً لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين . وكان منطوق العدل يقتضى أن يقولوا لعلنا نتبع الحق حتى لا يتحيزوا للسحرة . امتلأت أرض المباراة بالحبال والعصى والمشاهدون يشجعون السحرة، ومع ذلك ما رأينا أحداً آخر ساجداً . فلما جاءت المعجزة وتجلت دورها تغير الموقف تماماً، اسمع معى هذا المشهد القرآنى العظيم من سورة طه « قالوا يا موسى إما أن تلقى وأما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى فألقى السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى » .

فإذا كان موقف فرعون لما رأى الحق فى جلاله وقوته ؟ لقد اشتاط

غضباً وصرخت الدماء في أوصاله وقال : « آمنتم له قبل أن أذن لكم ؟
إنه لكبيركم الذى علمكم السحر فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف .
ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أننا أشد عذاباً وأبى » فإذا كان موقفهم
بعدها تمكنت بشاشة الإيمان مدر شفاف قلوبهم ؟ لقد كانوا فى الصباح
يقسمون بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون . وبعد ظهور الحق أقسموا بالله
وقالوا : والذى فطرنا (قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البيئات . والذى
فطرنا فاقض ما أنت قاض . إنما تقض هذه الحياة الدنيا) ثم لقتوه درساً
فى العقيدة دونما خوف ولا وجل . فن خاف الله خوفه الله من جميع
خلقه ، ومن أرضى الله بأسخاط الناس كفاه الله شر الناس ومن أسخط
الله بارضاء الناس وكله الله إلى الناس ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته :

فليتسك تحلوا والحياة مريرة

وليتسك ترضى والأنام غضاب

وليت الذى يبسنى وبينك عامر

وبيسنى وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين

وكل الذى فوق التراب تراب

نعم . لقد لقتوه درساً فى العقيدة قالوا له : « إنا آمننا بربنا ليغفر لنا
خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبى » جاء ذلك رداً
على قوله « ولتعلمن أننا أشد عذاباً وأبى » ثم انتقلوا به من عالم الدنيا التى

وصفوها بقولهم : إنما تقضى هذه الحياة الدنيا إلى عالم الآخرة حيث الخلو والسرمدى فقالوا : «إنه من يأت ربه مجرمًا فإن له جهنم لا يموت ولا يحيا . ومن يأت مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى » .

فتأمل معى الفرق الدقيق بين العبقرية والجنون وبين المعجزة والسحر ، وبين السحرة قبل ظهور الحق وبينهم بعد ظهوره جلياً . كانوا فى الصباح سحره كفره فما دجى الليل إلا وهم عند الله شهداء بررة فيا مقلب القلوب . ثبت قلوبنا على دينك .

وقد يسأل سائل . هل للسحر من علاج ونقول إن الرسول صلوات الله وسلامه عليه بين العلاج ناجعا وشافياً، وذلك عندما أوصانا بقراءة سورة البقرة فقال : اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة . وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة . والبطلة هنا هم السحرة . وأخبرنى حديثه قائلاً إن الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة .

إن هذه السورة قد اشتملت على أصول العقائد وشعائر العبادات وقواعد النظام ومبادئ الأحكام ومناهج السلوك . ودلائل التوحيد ، وقصص الأنبياء وحدود الحلال والحرام . ويجانب هذا كله أشتملت على سيره أى القرآن العظيم وهى آية الكرسي . واشتملت آية الكرسي على اسم الإله الأعظم وهو الحى القيوم . وقد ورد فى القرآن فى ثلاثة مواقع هذه

الآية إحداهما . وثانيها قوله تعالى في سورة آل عمران « ألم الله لا إله إلا هو الحى القيوم » .

وثالثه هذه الآيات قوله تعالى في سورة طه . « وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلماً » إذا علمت أن السحر يأتي من الشياطين فلا يهولتك هذا ، فإن الله تعالى يقول « إن كيد الشيطان كان ضعيفاً » وقد بين القرآن علاج الشيطان حتى تنق شره . قال تعالى في سورة الأعراف : « ولما يئزغك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم » . وفي سورة المؤمنون « وقل رب أعوذ بك من هزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون » وفي سورة النحل « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . إنما سلطانه على الذين يتولونه ، والذين هم به مشركون » .

ومما أوصانا به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقول « أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر وأعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده . ومن هزات الشياطين وأن يحضرون وعلمنا أن نقول في الرقى أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وقبل هذا وبعده تقوى الله . فالتقوى تمنع وساوس الشيطان وشروره وترد حسد الحاسدين وكيدهم إلى نحورهم . فقد بلغ من إيمان عمر رضى الله عنه أنه كان إذا سلك طريقاً ، سلك الشيطان طريقاً آخر لأن الشيطان كان يفر من ظل عمر وقد أنزل الله المعوذتين لإبطال السحر والحسد .

فمن حافظ على قرأتهما وتحصين نفسه بهما لا يصيبه بإذن الله شيء من هذا الشر . وكان عمر رضى الله عنه يرقى المريض بسورة الفاتحة فيشفيه الله .

ولا تنس أن البيت الذى يقرأ فيه القرآن يتسع لأهله ويكثر خيره وتسكنه الملائكة ويطرد منه الشياطين . كما أنى أوصى نفسى وإياك بالإكثار من ذكر الله فى البيوت . قال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم . وأرفعها فى درجاتكم . وخير لكم من إنفاق الذهب والورق . وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم . قلنا بلى قال ذكر الله وما من ساعة تمر على ابن آدم لم يذكر الله فيها إلا ندم عليها يوم القيامة » .

فاللهم أغننا بالعلم . وزينا بالحلم وأكرمنا بالتقوى ، وألبسنا ثوب العافية : واجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك .

قميص الشفاء

« اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً وأتوني بأهلكم أجمعين ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون قالوا تالله إنك لني ضلالك القديم فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون » .

هذه الكلمة حلقة في سلسلة الآيات الإلهية وهل كان قميص الشفاء في قصة يوسف إلا آية ناطقة بجلال الله وعظمته .

وإنما خصصنا الحديث عن قميص الشفاء لأن القميص في قصة يوسف قام بثلاثة أدوار أولها : قميص الخفاء .

« وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون » .

وإنما حكم يعقوب (عليه السلام) عليهم بهذا الحكم لأن هناك حيثيات تدل على ذلك، فالقميص لم يחדش ولم يصبه أي تمزيق ومن ثم قال لهم أبوهم : أي ذئب هذا العاقل الذي افترس يوسف دون أن يكون في القميص أي أثر . (بل سولت لكم أنفسكم أمراً) وعندئذ لا حيلة ولا وسيلة إلا الصبر إذ ماذا يصنع أمام تلك الحيلة ؟ ومن هنا فقد حم القضاء وقضاء الله لا يقابل بغير التسليم وليس له سوى الصبر الجميل .

قال صلى الله عليه وسلم ذات يوم لإصحابه أمؤمنون أنتم ؟ قال عمر نعم يا رسول الله قال : فما علامة إيمانكم ؟ قال : نصبر على البلاء ونرضى بالقضاء ونشكر في الرخاء . قال الصادق المعصوم مؤمنون ورب الكعبة .

قال الله تعالى في حديثه القدسي الجليل « من رضى بقضائى وصبر على بلائى وقتع بعطائى هو شكر نعمائى كتبت له صديقاً وبعثته يوم القيامة مع الصديقين . ومن لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى ولم يقطع بعطائى ولم يشكر نعمائى فليخرج من تحت سمائى وليتخذ له رباً سواى » .

أما الدور الثانى الذى لعبه القميص فى قصة يوسف دور البراءة عندما قالت امرأة العزيز لزوجها : « ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم قال يوسف « هى راودتنى عن نفسى » ولكن الموقف ما زال يحتاج إلى كلمة فصل لقد وقف العزيز بين كلام امرأته وبين رد يوسف موقفاً لا يحسد عليه وإذا بصوت ينبعث يعلن بلسان اليقين ومنطق الحق المبين كلمة الفصل ويستشهد بشاهد حسى يعتمد على دليل عقلى لا يقبل المساومة ولا أنصاف الحلول . فاستمع معى لما سجله القرآن الكريم فى هذا المشهد المهيّب « وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين » .

هذا هو موقف الحق مع المظلوم « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً » .

أما الدور الثالث فقد قام به قيص الشفاء فبعد الجفاء والبراءة يأتي الوفاء من يوسف لأبيه والشفاء من الله له ، لقد جمع الله الشمل وتلك سنة من سنن الله كلما اشتد الكرب هان ، قال تعالى حكاية عن يعقوب وأبنائه « وتولى عنهم وقال يا أسنى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حمرضاً أو تكون من الهالكين قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسبوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون » . لا يأس مع الإيمان فالحياة ألم يخفيه أمل وأمل يحققه عمل وعمل ينهيه أجل وبعد ذلك يجزي كل بما فعل إن يوسف عليه السلام لما انتقل من غيابات الحب إلى غاية الحب ومن النوم على الحصير وراء الأسوار إلى التربع على سرير الملك بإذن الواحد القهار « قال له إخوته أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا » ثم لخص طريق السعادة في كلمتين قال « إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين » .

فالتقوى والصبر هما الطريقان الموصلان إلى ذروة السعادة فمن اتقى الله خافه ومن خاف الله عرفه ومن عرف الله فقد أحبه ومن أحب الله فقد

أصبح من حزب الله قال تعالى « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » .
والصبر هو مقاومة النفس والهوى لثلاث تنقاد إله الرذائل، وهو جهاد متواصل أو هو ثبات باعث الدين في مقابل باعث الشهوات، حتى لا يتردى العبد في وخيم العقاب وقد يكون الصبر قناعة إذا كان صبراً عن الغنى، وقد يكون شجاعة إذا كان صبراً على احتمال الشدائد، وقد يكون حلماً إذا كان صبراً على الجهالة، وقد يكون عفة إذا كان صبراً على شهوات النفس الأمارة، وقد يكون قوة إذا كان صبراً على الكد ومتاعب الحياة .

ومهما يكن فإنه صبر « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب »
« إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين » .

ولكى يجمع الله شمل الأسرة العقبوية حل الصفاء محل الخفاء « قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين قال لا تُريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » .

ثم يأتي دور الشفاء لهذا الرجل الذي ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم يأتي هذا الدور بعد أن سلم الأمر كله لله فبعدهما قال « وأخاف أن يأكله الذئب قال : عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم » فبعدهما وقع البلاء وصاحبه الصبر جاء الفرج « اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً » كذلك « واثنوني بأهلكم أجمعين » إن يد الله تعمل في الخفاء وهم لا يشعرون فليس لأحد أن يستعجلها أو يقترح عليها فدعوها تعمل بطريقتها الخاصة .

ولما فصلت العير حدود مصر قبل أن تصل دار يعقوب بفلسطين قال يعقوب : إني لأجد ريح يوسف ولم يقل إني أشم ريح يوسف ، لأن الشم مقصور على حاسة واحدة ، أما الوجود فإنه شامل لكيانه كله فكأنه يقول إن ريح يوسف في سمعي وبصري ولحمي ودمي ، فلا تسفهوني ولا تفندوا ما أرى وكان وعد الله حقاً وصدقاً ، فلقد دخل عليه البشير بقميص الشفاء فألقاه على وجهه فارتد البصر أحسن مما كان ، كان الشفاء من الله وكان القميص سبباً .

وعندئذ قال يعقوب لأبنائه « ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون » .

وهكذا يضع الله سره في أشياء ظاهرية فيحولها إلى آيات ومعجزات ألم تكن عصى موسى عصا عادية فصارت بقدرة الله ثعباناً مبيهاً ؟ ألم تكن يد موسى يدا عادية أخرجهما من جيبيه بيضاء من غير سوء ؟ ألم يكن قميص يوسف قميصاً عادياً ألقى على وجه يعقوب فارتد بصيرا ؟ ألم يكن القمر عادياً في عليانه فانشق معجزة لسيد الأنبياء ؟

فاللهم إنا أصبحنا نشهدك ونشهد ملائكتك وحملة عرشك إنك أنت الله وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ونبيك ورسولك . .

عبد الحميد كشك

الفهرس

صفحة

| | |
|----|---------------------------|
| ٥ | مقدمة |
| ٧ | من آيات الله |
| ١٢ | الثبات على المبدأ |
| ١٨ | نماذج من الآيات الالهية |
| ٢٢ | المعجزة والسحر |
| ٢٦ | الحضارة على طريق الانتحار |
| ٣٤ | مرحبا بك طبيبا |
| ٣٨ | الجانب الخلقى فى الصيام |
| ٤٣ | رمضان شهر النصر |
| ٥٠ | سير القتال يوم بدر |
| ٥٤ | الدروس المستفادة من بدر |
| ٥٧ | احب الأعمال الى الله |
| ٦٤ | حقائق الأشياء ثابتة |
| ٧١ | قميص الشفاء |

رقم الايداع ١٩٨٤/٢٥٢٣

الترقيم الدولي ٩٧٧-١٣٦-٠٢٢-١ ISBN

طبع بمطابع الأهرام التجارية